# من المصادر الفارسية فى التاريخ الإسلامى
# ( فى العصرين : المغولى والتيمورى)

أ.د/ شيرين عبد النعيم حسنين(*)

يرجع تأليف المصادر التاريخية باللغة الفارسية فى إيران إلى القرن الرابع الهجرى. ونظرًا لحرص الإيرانيين على تسجيل تاريخهم، فقد دونوا تاريخهم وتاريخ العالم الإسلامى نثرًا وشعرًا .

وتنقسم المصادر التاريخية التى ألفها الإيرانيون إلى نوعين، هما :

أ - **مصادر خاصة**: وقد تناولت هذه المصادر تاريخ إيران، فألفت كتب تتناول التأريخ لدولة تولت الحكم بإيران، أو التأريخ لمدينة من المدن .

ويتميز هذا النوع من المصادر بأنه يتناول التواريخ المحلية؛ لذلك تتفرد مصادره بتسجيل أحداث تفصيلية ومعلومات فريدة قيمة يندر توفرها فى كتب التاريخ العام.

ب - **مصادر عامة**: وتتناول هذه المصادر التأريخ لدول العالم الإسلامى خلال عصور التاريخ.

وإذا انتقلنا إلى الحديث فى موضوعنا، وهو المصادر الفارسية فى التاريخ الإسلامى خلال العصرين: المغولى والتيمورى - على الخصوص - نستطيع القول بأن حكام المغول فى إيران وأحفادهم التيموريين شغفوا بعد اعتناقهم الإسلام بتسجيل تاريخهم وتاريخ أجدادهم وآبائهم، وشجعوا الكتاب والمؤرخين على التأليف فى التاريخ.

لذلك لم يكد يبدأ القرن الثامن الهجرى حتى بدأت معه كتابة التاريخ العام فى إيران باللغة الفارسية؛ فظهرت جملة من الموسوعات التاريخية الموثوق بها، والتى أصبحت العماد فى دراسة تاريخ إيران على الخصوص، كما أصبحت مرجعًا من أهم المراجع لدراسة التاريخ الإسلامى على وجه العموم.

وقد امتد تأليف هذه الموسوعات التاريخية أكثر من قرنين من الزمان (أى: منذ بداية القرن الثامن إلى نهاية القرن التاسع وبداية العاشر الهجرى)، كما لم تقف مع هذا كتابة التواريخ المحلية أو الخاصة، بل ظلت تكثر وتنتشر؛ لأن القرن الثامن فى إيران كان عصر دويلات صغيرة أخذت تتنافس فى تسجيل تواريخها، فأخرجت لنا مجموعة

---

(*) أستاذ اللغة الفارسية ورئيس قسم اللغات الشرقية وآدابها، كلية الآداب - جامعة عين شمس.

من المصادر التاريخية الخاصة التى استطاعت أن تحتفظ بمكانتها إلى جانب هذه الموسوعات الكبيرة.

ومن أهم مميزات المصادر الفارسية فى العصرين: المغولى والتيمورى التى تكسب هذه المصادر قيمة عظيمة ـ أن كثيرًا من مؤلفيها كانوا معاصرين لسلاطين الدول الحاكمة، بل كانوا من رجالات هذه الدول؛ لذا سجلوا فى أعمالهم معلومات انفردت بها مؤلفاتهم، حيث كانوا شهود عيان للوقائع والأحداث .

ونذكر بعضًا من هذه الكتب ؛ فعلى سبيل المثال : أول هذه المصادر التى تضمَّنها كتاب «مصادر فارسية فى التاريخ الإسلامى»، وكتاب « تاريخ جها نكشاى» (أى: تاريخ فاتح العالم)، فمؤلفه هو: عطا ملك الجوينى، الذى كان من رجال الدين، وكان يلقب بـ«صاحب الديوان»، وهو لقب يخول للقائم عليه إدارة الشئون المالية فى المملكة، والذي يقابل وظيفة وزير المالية فى عصرنا الحاضر .

فقد كان عطا ملك حاكمًا للعراق لفترة، وقد التحق بخدمة الديوان فى سن مبكرة، لم يبلغ فيها العشرين من عمره ، فعاصر السلطان (أرغون)، وصحبه فى كثير من أسفاره، وقد ألف كتابه هذا «تاريخ جها نكشاى» فى إحدى الفترات التى أقام فيها مع سيده فى عاصمة المغول (قراقورم) بين عامى ٦٥٠ ـ ٦٥١ هـ، مما أتاح له تأليف كتاب جامع لأحوال السلطان جنكيز خان. حيث سجل فيه مآثره ومفاخره، وضمنه معلومات قيمة مما سمعه أو شاهده.

وهذا الكتاب يتناول تاريخ المغول حتى عام ٦٥٥ هـ، وإن كان هناك بعض من نسخه تشتمل على ملحق فيه وصف لغارة المغول على بغداد وتخريبها وتحطيم الخلافة، والحوادث التى وقعت فى عام ٦٥٦هـ؛ لذا ربما جاز القول بأن هذه الزيادات من وضع مؤلف آخر غير الجوينى.

والكتاب يقع فى ثلاثة أجزاء ، هى :

الجزء الأول: عن أصل المغول وفتوحات جنكيز خان.

الجزء الثانى: عن حكام خوارزم المعروفين «خورازمشاه».

الجزء الثالث: عن تاريخ الإسماعيلية منذ النشأة، حتى تحطيم حصنهم فى قلعة «ألموت » على يد هولاكو فى عام ٦٥٥هـ .

وترجع قيمة هذا الكتاب إلى أنه يعد المصدر الأول فى موضوعه، والمرجع الذى

يرجع إليه المؤرخون اللاحقون الذين جعلوه عماد نقلهم .

وهناك كتاب آخر يعد من المصادر القيمة ، هو كتاب «جامع التواريخ»، الذى ألفه رشيد الدين فضل الله عام ٧١٠ هـ، وكان وزيرًا للسلطان (غازان خان)، وأيضًا طبيبه الخاص.

وهذا الكتاب يقع فى جزأين؛ يتناول الجزء الأول تاريخ القبائل التركية والمغولية وأصولها وأنسابها .

أما الجزء الثانى فهو فى التاريخ العام، ويتضمن تاريخ آدم والرسل والأنبياء، وتاريخ ملوك فارس قبل الإسلام، وأيضًا تاريخ النبى ﷺ والخلفاء الراشدين، وخلفاء الأمويين والعباسيين حتى وقت سقوط الخلافة العباسية على يد المغول عام ٦٥٦هـ. كما يشتمل هذا الجزء ـ أيضًا ـ على تاريخ الدويلات الفارسية اللاحقة للإسلام .

وترجع أهمية كتاب «جامع التواريخ» إلى أنه يرجع إليه الفضل فى تأليف تاريخ عام باللغة الفارسية.

ومن المصادر الهامة ـ أيضًا ـ كتاب « تاريخ وصاف»، الذى ألفه أبو عبد الله بن فضل الله الشيرازى عام ٧٢٨ هـ.

وقد عرف هذا الكتاب بهذا الاسم نسبةً إلى مؤلفه الذى اشتهر بلقب (وصاف الحضرة)؛ لأنه كان يلازم ملوك المغول، ويقوم بجباية الضرائب لهم ، لكن عنوانه هو «تجزية الأمصار وتزجية الأعصار ».

ويقع هذا الكتاب فى خمسة أجزاء؛ تناول فيها المؤلف ذكر أحوال سلاطين المغول منذ نشأتهم إلى أيام السلطان (أبى سعيد)، عام ٧٢٨ هـ.

ويعدُّ هذا الكتاب متممًا لكتاب «تاريخ جها نكشاى» الذى سبقت الإشارة إليه.

أما ما يخص العصر التيمورى فإننا نذكر على سبيل المثال ـ مما تناوله الدكتور الشواربى بالدراسة ـ كتاب «روضة الصفا» الذى ألفه (مير خواند) المتوفى عام ٩٠٣هـ.

وهذا الكتاب يعدُّ من أكثر الموسوعات التاريخية ذيوعًا فى إيران. وهذه الموسوعة تقع فى سبعة أجزاء، وتتضمن هذه الأجزاء: الحديث عن أول المخلوقات، وقصص الأنبياء، حتى عصر تيمور لنك وأعقابه.

والجزآن الأخيران يشتملان على كثير من الحوادث التى شاهدها المؤلف بنفسه وعاصرها ، وهذا مما يعطى الكتاب أهميته الخاصة.

ومن أبرز ما يميز هذا الكتاب هذان الجزآن، حيث يشتملان على كثير من الحوادث التى شاهدها المؤلف بنفسه، وتنحصر فيهما أهمية الكتاب لمن أراد أن يكتب عن التيموريين خاصة.

كذلك من المصادر القيمة والنفيسة التى تناولت تاريخ التيموريين بصفة عامة ، وتاريخ تيمور لنك بصفة خاصة ـ كتاب «ظفر نامه»، أى: كتاب الظفر .

ومؤلف هذا الكتاب هو (مولانا نظام الدين شامى)، وقد ألفه عام ٨٠٦ هـ . وقد اشتهر نظام الدين شامى ـ مؤلف هذا الكتاب ـ بأنه كان المؤرخ الوحيد الذى كتب عن تيمور لنك أثناء حياته، ويقال: إن السلطان تيمور هو الذى اختار تسمية هذا الكتاب. وقد كان المؤلف يعيش فى بغداد عندما فتحها السلطان تيمور عام ٧٩٥هـ، وكان من أوائل من خرجوا من بغداد للقاء الفاتح وتقديم خضوعهم. وفى عام ٨٠٦هـ استدعاه السلطان تيمور ـ كما ذكر المؤلف ذلك فى مقدمة الكتاب ـ وأمره أن يكتب تاريخًا عن حكمه وغزواته، ووضَعَ تحت تصرّفه كثيرًا من المستندات التاريخية والأوراق الرسمية، وأمره أن يكتب تاريخه بلغة خالية من التصنّع والمحسنات البديعية؛ حتى يتمكن العامة من قراءتها وفهمها.

وبعد ذلك بقليل رجع تيمور إلى مدينة سمرقند، وسمح للمؤلف نظام الدين شامى بالرجوع إلى موطنه ـ الذى كان فيما يبدو مدينة تبريز ـ وزوده بخطابات لحفيده (عمر بهادر ابن ميرانشاه) الذى نُصِّب فى ذلك الوقت حاكمًا على إقليم فارس.

ويبدو أن كتاب «ظفر نامه» انتهى بذكر عام ٨٠٦ هـ، عندما رجع تيمور إلى عاصمته (سمرقند)، ثم خرج منها بعد قليل ليقوم بفتوحاته فى الصين، لكنه لم يكملها لوفاته فى العام التالى.

وعلى ذلك فإن الكتاب لا يأتى على ذكر العام الأخير من حياة تيمور. ومن التعريف بهذا الكتاب نعرف مدى أهميته؛ حيث يعدُّ أول تاريخ كُتِب عن دولة التيموريين بصفة عامة وتيمور بصفة خاصة، ومدى قيمة وندرة المعلومات والوقائع التى تضمنها.

ومن بين مصادر العصر التيمورى القيمة ثلاثة كتب ألفها أحد الكتاب الإيرانيين البارزين الذين عاشوا فى عصر آخر سلاطين التيموريين العظام السلطان حسين بايقرا إلى وزيره العالم الشهير (عليشير نوائى)، وهو : (غياث الدين) الملقب بـ (خواندمير)، والمتوفى عام ٩٤١هـ .

وهذه الكتب الثلاثة هى :

**الكتاب الأول**: «مآثر الملوك»، ويقع هذا الكتاب فى ستة أبواب، و تتضمن هذه الأبواب الأقوال المأثورة للملوك والحكماء السابقين، بدءًا من أقوال الحكماء منذ بداية الخلق، حتى أقوال الخلفاء العباسيين وملوك الدول: الطاهرية والصفارية والسامانية والغزنوية.

**والكتاب الثانى**: «خلاصة الأخبار فى بيان أحوال الاختيار»، وهو عبارة عن تلخيص لكتاب ( روضة الصفا)، ويقع فى عشر مقالات .

**أما الكتاب الثالث**: فهو من أهم هذه الكتب ، وهو «حبيب السير فى أخبار البشر»، ويقع فى ثلاثة مجلدات؛ يشتمل كل مجلد على أربعة أجزاء فى التاريخ الإسلامى: منذ بدء الخليقة حتى تاريخ الشاه إسماعيل الصفوى عام ٩٣٠هـ .

وعلى الرغم من أن هذا الكتاب قد نقل عن الكتاب السابق الذكر «روضة الصفا » ـ فإن أهميته تتجلى فى تناوله بالدراسة تاريخ دول صغيرة أهملها كتاب «روضة الصفا»، كما يتحدث ـ أيضا ـ عن رجالات العلم والأدب الذين ظهروا فى مختلف العصور، مما يجعل هذا الكتاب سجلًا تاريخيًا أدبيًا كبير القيمة .

وعلى الرغم من أن هذه الكتب ألفت باللغة الفارسية فإنها تعدُّ من المصادر الهامة القيمة فى تاريخ إيران خاصة، والتاريخ الإسلامى بصفة عامة.

وننتقل إلى نموذج آخر من المصادر الفارسية، وهى كتب تاريخية أُلِّفت شعرًا :

ونعرف ببعض منها على سبيل المثال بكتاب «ظفر نامه»، أى: كتاب الظفر. ومؤلف هذا الكتاب هو (حمد الله المستوفى)، المتوفى عام ٧٣٥هـ. وهذا الكتاب غير الذى سبقت الإشارة إليه، والذى يحمل نفس العنوان لمؤلفه مولانا نظام الدين شامى.

وهذا الكتاب ألف فى تاريخ المغول، وهو عبارة عن منظومة شعرية ضخمة تقع فى خمسة وسبعين ألف بيت من الشعر.

وقد استغرق فى نظم كتابه هذا خمسة عشر عامًا، وقدمه للسلطان (أبى سعيد). وقد نظمه على نمط الشاهنامه، وقصد به أن يكون تكملة لمنظومة الفردوسى. ويشتمل على تاريخ العرب والعجم منذ بداية الإسلام، وحتى عام ٧٣٢هـ.

وترجع أهمية هذا الكتاب إلى دقة مؤلِّفه؛ حيث أورد حوادث وتواريخ خاصة فيما يتعلق بالجزء الثالث المخصص لتاريخ المغول، ويستشهد بوصف المؤلِّف للمذبحة التى قام بها المغول فى بلدته مدينة قزوين .

ومن بين هذه الكتب المنظومة أيضا كتاب «شاهنشاه نامه»، أى: كتاب ملك الملوك، ومؤلفه هو (أحمد التبريزى). كان قد ألفه عام ٧٣٨هـ فى شكل منظومة تقع فى ثمانية عشر ألف بيت شعرى، تناول فيها تاريخ المغول حتى جنكيز خان، وحتى عام ٧٣٧هـ .

وقد أهدى كتابه هذا إلى السلطان (أبى سعيد)، ويعرف هذا الكتاب ـ أيضًا ـ باسم «جنكيز نامه»، أى : كتاب جنكيز.

وعلى الرغم من أن المصادر الفارسية التى سبق الحديث عنها فى هذا البحث قد تناولت التاريخ الإسلامى العام أو تاريخ المغول أو التيموريين فى إيران، فإن هناك نوعًا من المصادر قد تناول تاريخ مدينة من مدن إيران، وهى جديرة بالتعريف بها للدارسين، نذكر منها على سبيل المثال: كتاب «روضة الجنات فى تاريخ مدينة هرات»، وقد ألفه (معين الدين الإسفزارى) عام ٨٧٥هـ .

وقد قسم المؤلف هذا الكتاب إلى ستة وعشرين قسمًا أو روضة ، وقد تناول المؤلِّف فى الروضة الأولى وحتى الروضة السادسة ـ تاريخ مدينة هرات منذ نشأتها وحتى دخولها فى الإسلام .

أما الروضتان السابعة والثامنة فقد تناول المؤلف فيهما الحديث عن تاريخ حكام هرات، حتى عصر تيمور لنك وأعقابه.

وفى ختام حديثنا يجدر بنا أن نذكر أنه ـ بفضل الله وتوفيقه ـ قد وُفّق المتخصصون فى اللغات الشرقية بالجامعات المصرية إلى نقل هذه المصادر فى معظمها إلى اللغة العربية.

ففى الوقت الحاضر تزخر مكتبات الجامعات المصرية بترجمات لهذه المصادر الفارسية فى التاريخ الإسلامى التى صارت من تراثنا العربى؛ ذلك أن هذين النوعين من كتب التاريخ الخاصة والعامة التى ألفها المؤرخون الإيرانيون يجب أن يعتمد الباحث العربى عليها فى دراسته للتاريخ الإسلامى، بما فى ذلك تاريخ إيران، فكتب التاريخ العام تفيده من ناحية ربطها للحوادث وتنسيقها للوقائع التاريخية، كما أن كتب التاريخ

الخاصة تزوده بمعلومات وتفصيلات دقيقة لا تهتم بها كتب التاريخ العامة؛ لسعة نطاقها وكثرة الموضوعات التى تتناولها .

من أجل ذلك نقول: إن المصادر الفارسية فى التاريخ الإسلامى التى ألفت فى العصرين: المغولى والتيمورى لا غنى عنها لكل باحث إيرانى أو عربى؛ وذلك لقيمتها الفريدة المتميزة.